

مراحل تطوير اللغة وتصيغ اللهجات
لماذا يجب أن يحظى العالم بجميع اللغات والثقافات؟

مُحَمَّدُ أَزْهَرُ

الباحث في كلية اللغة العربية والإفريقية

بجامعة جواهر ل نهرودهي

(البريد الإلكتروني: azharjnu1@gmail.com)

الملخص

Abstract

Language is a human characteristic and is a natural talent that adorn the human. Language is often interpreted as a dialect, the old Arabs said that Arabic is their dialect and bad language according to them is an inappropriate dialect which has no measure and does not include Arabic fusha. The emergence of human language or the first forms that appeared on it. It comes in the life of language, what it takes in the voices, the structure of morphology, structures of syntax and breadth and narrowness and the rise and fall, and the divisions of the dialects and conflict with others, and the result of the conflict of continuity or death or predominance or widening or receding and faded before the predominance of another language , And common languages, this area is called language life (Vi Du language).

Keyword: Stages, language, development

المقدمة

الإنساني. ومن العجائب الإنسانية أنها
سواء بسواء في ظاهر الأعضاء ومرحلة
تطويرها بنسبة اللحم والدم ولكن ما
يخرج من هذه الأعضاء خاصة من
اللسان، يختلف تماما من مكان إلى
مكان رغم الألفاظ المماثلة في كل لغة
إلى حد كبير ولكن إذا تتركب هذه
الألفاظ، فسمعتها يختلف من سماعتنا. لما

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول
الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ولا
حول ولا قوة إلا بالله، أما بعد:
اللغة من أهم المميزات الإنسانية
ومن عجائب العطايا الطبيعية التي يتزين
بها الإنسان بل هي أساس الإنسان. في
غياب اللغة يساوي الإنسان الأنعام
مهما كانت الفكرة وقدرة التفكير

ذا يحدث هذا ولما ذا تختلف اللغة
واللهجات في أنحاء مختلفة ومن
يصنع ذلك؟ دعني أبحث عن هذه
النقاط في السطور التالية.

ما هي اللغة؟

المباحث

اللغة: لغة أصلها لغو، لامها واو فهي
واوي، وقيل لغى، لامها ياء فهي ياءى،
ومصدرها اللغو، واللغا. جاء في اللسان:
"أصلها: لغوة، وقيل أصلها: لغى أو
لغو، والهاء عوض."¹

وقال الأزهري: "اللغة من
الأسماء الناقصة، أصلها لغوة من لغا إذا
تكلم"، وأكد ابن جني في كتابه "سر
صناعة الإعراب" أن المحذوف هو اللام
وليس العين.²

وقال ابن جني (ت 392هج)
"وأما تصريفها، ومعرفة حروفها، فإنها

فعلة من لاغوت، أي تكلمت، وأصلها:
لُغوة ككرة، وقلة و ثبة كلها واوي
كقولهم كروت بالكرة، وقلوت بالقلة،
وقيل معناها لغى يلغى إذا هذى،
ومصدره اللغا، قال:

ورب أسراب حجيج كظمعن اللغا
ورقت التكلم

وكذلك اللغو، كما في القرآن
الكريم: واللذين لا يشهدون الزور وإذا
مروا باللغو مروا كراما (الفرقان:72)،
أي بالبالل. وفي الحديث: "من قال في
الجمعة: صه فقد لغا" أي تكلم.³

ونقل السيوطي عن إمام
الحرمين: "اللغة من لغى يلغى من باب
رضي إذا يجج بالكلام، وقيل من لغى
يلغى".

وهنالك فرق بين اللغة واللغو
واللغا: فاللغو واللغا: السقط ومالا يعتد
به من كلام وغيره ولا يحصل منه على
فائدة ولا نفع، أو ما كان من الكلام غير

¹ ابو الفضل محمد بن مكرم بن الأفيقي المصري: لسان العرب،

بيروت، مادة لغا، ج 250/10

² سرصناعة الإعراب: دراسة وتحقيق حسن هندواوي، دار القلم،

دمشق، ط. 413/2 هج، 1993م.

³ الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني: تحقيق محمد علي النجار، الهيئة ا

لمصرية العامة للكتاب، 1419هـ / 1981م. والحديث رواه البخاري

في كتاب الجمعة.

ولغى بالشيء يلغى لغا: لهج،
أي أكثر فيه، ولغوت بكذا: لفظت به
وتكلمت. وإذا أردت أن تسمع من
الأعراب فاستغلهم.

قال الراعي يصف القطا:

قوارب الماء لغواها مبينة في لجة الماء لما
راعها الفرع

وتقول: لغة العرب أفصح
اللغات، وبلاغتها أتم البلاغات.⁵

واستخدم كلمة لغة بمعنى
اللهجة، فلغات العرب في كلام القدماء
يعني لهجاتهم، واللغات المذمومة في
كلامهم تعني اللهجات الشاذة التي لا
قياس عليها، ولا يعتد بها في العربية
الفصحى.

الفرق بين اللغة واللسان:

كلمة اللسان استخدمت كثيرا في معنى
اللغات. وقد ألق العرب قديما على
اللغة اسم اللسان مجازا باعتبار ألتة.
فاللسان هو العضو الأساسي في

معقود عليه، قال تعالى: "لا يؤاخذكم الله
في اللغو في أيمانكم" (البقرة: 225،
المائدة: 89). ومنها كلمة "لاغية بمعنى
الفاحشة، وفي القرآن: "لا تسمع فيها
لاغية" (الغاشية: 11) أي كلمة قبيحة
أو فاحشة، وقيل: اللغا: معناه الصوت،
او اللفظ، كما في القرآن: "لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه" (فصلت: 26)
أي ألقوا فيه واجعلوا الغوغاء.

وقيل اللغو: معناه التكلم، كما
ورد في الحديث: "من قال يوم الجمعة
والإمام يخطب لصحابه: صه فقد لغا"،⁴
أي تكلم، وقيل قد خاب. وآرى أنه
لغى: تحدث باللغظ، وهو ما لا يفهم
ولا يعتد به مما يفسد الخطبة والصلاة.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن
اللغو هو النطق، ولذا قالوا: لغوي
الطير: أي أصواتها، والطير تلغي
بأصواتها أي تنغم، واللغوي صدى القطا
(مائر). ويقال سمعت لغو الطائر ولحنه.

⁵ أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر، ص: 568،
مادة لغو.

⁴ رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب "الإنصات يوم الجمعة".

الإنساني من حيث الدلالة، والتعبير والتبين والاتساع. وهذا التعريف يتضمن العناصر الأساسية لتعريف اللغة. ويتفق مع كثير من التعريفات الحديثة للغة، فهو يوضح الطبيعية الصوتية للغة ويؤكد أن اللغة أصوات، وهو بهذا يستبعد الخطأ الشائع الذي يتوهم أن اللغة في جوهرها ظاهر مكتوبة. وبين تعريف ابن جني وظيفية اللغة الاجتماعية، وهي التعبير والتواصل، وأن لها إلمارا اجتماعيا، ومن ثم فهي تختلف باختلاف الجماعة الإنسانية.

وبذلك يوضح تعريف ابن جني إلماعة اللغة من جانب ووظيفتها الاجتماعية من جانب آخر، وقد ألق لفظ اللغة قديما على اللغة عامة كما ألق أيضا على اللهجات، فقد كانت لهجات العرب تسمى لغات.

لقد اقترب مفهوم ابن جني للغة من المفهوم الحديث الذي يرى أن اللغة نظام من العلامات المنتظمة تقوم بوظيفة اتصالية ويترتب على تعريف اللغة بأنها نظاممناقشة وظيفتها الاجتماعية، فهي

الكلام، ولايستطيع الإنسان إقامة لغة مفهومة دون اللسان الذي يشارك في نطق معظم الأصوات العربية مشاركة أساسية. وقد عبر القرآن الكريم عن معنى اللغة بلفظ اللسان، قال تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" (إبراهيم: 4). هناك اللسان بمعنى اللغة كما أكد حديث، رواه أبو ذر رضي الله عنه، قال الرسول صلى الله عليه وسلم "لم يبعث الله عز وجل نبيًا إلا بلغة قومه" (رواه الإمام أحمد في مسند أبي ذر).

وقد اتسع استخدام لفظ اللسان بهذا المعنى المجازي في العصر الجاهلي، وازداد اتساعا إلى أن نازعه لفظ "اللغة" مكانه حتى أزاله عنه وأصبحت له الغلبة في الاستخدام الحديث.

أما اللغة في المصطلح فهو حسب ابن جني: "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".⁶ فاللغة ذات إلماعة صوتية وذات وظيفة اجتماعية، فهي أهم وسائل الاتصال

⁶ الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط. 3 / ...هـ، الهيئة المصرية العامة لكتاب، ج 1 / 43.

مثل إشارات المرور، والأسهم وحتى الصور والرسوم، وكذلك دقات الطبول الخاصة في أدغال أفريقية وإطلاق الدخان بطريقة معينة بين الهنود الأمريكيين".¹⁰

فاللغة نظام من الرموز متكامل يعطي دلالات ذات معنى، في التواصل بين الكائنات الحية، وهذه الرموز تتمثل في اللغة التي يتعامل بها الإنسان، والتي تعد أكثر تركيباً وتعقيداً، والمتمثلة في الكلمات ذات الدلالة، ولكن هناك أشياء أخرى غير لغوية، ولكنها تؤدي دلالات ذهنية في التواصل الاجتماعي، وإن كانت محدودة الدلالة، ولا تبلغ درجة اللغة مثل الصفيير والصراخ وأصوات الألم والبكاء والضحك وغير ذلك من الأصوات ذات الدلالة على المواقف ويدخل في ذلك الشكل والزي والحركة والهيئة واللون والعلامات مثل إشارات المرور، والإشارات الضوئية التي تعطي

تؤمن وتضمن تبادل المعلومات وتتضمن حفظها وتراكمها في المجتمع الذي يستخدمها.⁷

ويقوم ابن خلدون هو الآخر تعريفاً متقدماً في مقدمته فيقول: اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متفرقة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم.⁸ فاللغة عنده أصوات قبلت عن قصد لإفادة معنى، واللسان الأداة التي تنتجها. ويقول في موضع آخر "اللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها اليد".⁹

ويرى ماريو باي أن "هذه التعريفات الواسعة لا تقتصر اللغة على صورتها المتكلمة فقط بل تحوي إلى جانب ذلك الإشارات، والإيحاءات، وتعبيرات الوجه، والرموز من أي نوع،

⁷ سيمو ليقا للسينما، بوري لوتمان، ترجمة نصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيمو ليقا، ص: 266.

⁸ ابن خلدون، المقدمة، ص: 1254.

⁹ نفس المصدر، ص: 1254.

¹⁰ أسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ص: 29، (الدكتور محمود عكاشة، علم اللغة مدخل نظري في علم اللغة، ص: 18، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2008.

دلالات معينة في مجالات التواصل
الإنساني.¹¹

وهناك فرق بين اللغة التي
يتواصل بها الإنسان وتلك الأشياء،
فاللغة (الكلام) نظام إنساني يعتمد على
الفكر والقدرة على الإيضاح والتعبير،
أما الحركات والأصوات والزي واللون
فليست لغة، وإنما هي رموز ذات
دلالات خاصة ومحدودة.

واللغة ملكة أنسانية مصدرها
الجهاز النطقي عند الإنسان، وهذا
لا يعني استبعاد الرموز من وظائفها
الاجتماعية، فاللغة تفسر أحيانا في إطار
تلك الرموز التي تشارك مشاركة فعالة في
التواصل الاجتماعي، وفي الخطاب
اليومي الشفهي، وتبقى اللغة هي من
أهم وسائل الاتصال الإنساني وأكثرها
دلالة وانتشارا وأسرعها فهما.

فالإنسان وحده لديه القدرة
على ابتداء واستعمال اللغة الرموزية،
فاللغة عامة مجموعة من الحروف أو

العناصر، والقواعد التي تتحكم في
تركيبها واستخدامها، واللغة التي يتكلمها
الإنسان مثل: العربية، والسنسكريتية،
والإنجليزية لغة طبيعية، ولكن الإنسان
تمكن من وضع رموز تؤدي دلالات
الكلمات والحروف ونظام الرموز ولغة
الإشارة، والحركة. وقد استخدم الإنسان
هذه العلامات ببقا للاحتياجات
البشرية الخاصة وهذه الرموز تم عليها
الاتفاق بطريقة عشوائية، تؤدي دلالات
معينة في حقل استخدامها الذي
اصطلح على دلالتها.

والرموز بيانات على هيئة
أشكال وحروف وكلمات وأشياء وأفعال
ترمز لشيء إلى جانب ترميز نفسها أو
الدلالة على نفسها قبل "العلم" الذي
يرمز إلى شعار الدولة له دلالة خاصة
في وجدان مواطني هذا البلد. إلى جانب
أنه علم مصنوع من قماش أو غيره وله
لون معين.

والإنسان وحده له القدرة على وضع
الرموز وتطويره إلى جانب أنه يتأثر به

¹¹ مدخل إلى علم اللغة: الدكتور حجازي، ص: 10، 11. دار
الثقافة، ط. 2.

ويتفاعل معه، ويحمل له دلالة ذهنية أو تصورا.

نشأة اللغة ومراحل التطوير

نشأة اللغة الإنسانية أو الأشكال الأولى التي ظهرت عليها أولى اللغات ومظاهرها أو بحث أصل اللغات الأولى وهي اللغة الأم التي تفرعت عنها اللغات وتسمى هذا المجال أصل اللغة أو نشأة اللغة.

ويأتي فيها حياة اللغة، وما يعتمدها في الأصوات، والبنية الصرفية، والتراكيب والدلالة والاتساع والضييق والارتقاء والانحطاط، وما تتعرض له من انقسامات على لهجات وصراعات مع غيرها، وما ينجم عن صراعها من استمرار أو موت أو غلبة أو اتساع أو انحسار وتلاشي أمام غلبة لغة أخرى، واللغات المشتركة، ويسمى هذا المجال حياة اللغة (Vi Du language)

ولابد من البحث في هذا الإطار من علاقة اللغة بالمجتمع الإنساني والنفس والبشرية، وهذا من الضروري أن

يكون هناك بحث عن علم الاجتماع وعلم النفس، وذلك من خلال العلاقة بين اللغة والإنسان في حياته الاجتماعية، وأثر الاجتماع وحضارته ونظمه وتاريخه وتركيبه وبيئته الجغرافية في مختلف الظواهر اللغوية، والعوامل النفسية بمختلف أنواعها من تفكير وخيال وعواطف ومشاعر وانفعالات.

مسئلة نشأة اللغة قديمة، وهي لاتزال موضوعا للبحث العلمي والحوار الجدي لفترة قرون. وازداد البحث في يومنا هذا خاصة بعد ما اكتشف الإنسان أشياء جديدة، وقطع مسافات علمية غير منقطعة النظير، واستطاع أن يدرس المخطوطات القديمة كما استطاع أن يفهم لغات الطيور والحيوانات، فهذه الاكتشافات ربما تساعد على المعرفة الجديدة تجاه التاريخ الإنساني والحضارة البشرية كما تساعد على اللغة التي تكلمها البشر الأول، وهذا الفهم سيؤدي إلى علم القيم والعادات التي مارسها هذا البشر كما يؤدي إلى معرفة تاريخ الدين ومفاهيم المجتمع والثقافة.

ففي الوقت الراهن نجد كثيرا من المفروضات عن كيف، ولماذا، ومتى وأين ظهرت اللغات. فدعنا نبحث عن هذه المفروضات وأشهرها:

أولا: اللغة إلهام من الله

قد ذهب كثير من العلماء الأقدمين أن اللغة وحي من وحي الله، فهو علم النطق وأسماء الأشياء، وقد ذهب إلى هذا الرأي الفيلسوف اليوناني هيرا كليت (Heraclite) (ت28 ق م) في العصر القديم. وهذه النسبة غير يقينية، لأن الوحي يرتبط بالأديان السماوية ولهذه النظرية كانت صدى في العهد القديم الذي أشار إلى أن الله تعالى علم آدم الأسماء الأشياء. وأيد أبو علي الفارسي هذا الرأي، وأكد تلميذه (أبو علي الفارسي) ابن جني.¹²

وأكثر علماء العربية ذهبوا خاصة إلى هذه النظرية، واستدل أصحاب هذا الرأي بالدلائل النقلية

وهذه أهمية للبحث الذي أثار العلماء والباحثين الهنود، فبحثوه ضمن قضايا اللغة التي بحثوها، كما بحثه أيضا علماء يونان.

وقد شغل هذا الموضوع الباحثين قديما وحديثا. ولاشك أن قضية أصل اللغة أو قضية نشأة اللغة أو من أين عرف الإنسان بها ومتى عرفها مهمة جدا؟ فقد تباينت الآراء في هذا الموضوع. ولا يوجد توافق في الآراء حول الفعل الأصلي. والسبب الأساسي المباشر لهذا الاختلاف هو انعدام الدليل الواضح حيث يشكل العثور على اللغات في شكل أحافير كما هو حال الأشياء الأخرى الملموسة، فلا بد لنا أن نستخلص الاستنتاجات من الأدلة الأخرى كسجل الأحافير والأدلة والأثرية وأيضا من التبرع اللغوي المعاصر ومن دراسة اكتساب اللغة أو المقاربات بين لغات البشر ونظم التواصل بين الحيوانات، وهذا يريق في حل كل المجهولات فإننا نجد هداية من المعلوم إلى المجهول.

¹² الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، ط. 3 / 1418 هـ، الهيئة المصرية العامة لكتاب، ج 1 / الطبعة الجديدة، 2006، من عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول.¹⁴

وهذا الاتجاه قد يصح وقد لا يصح أما الصحة فإن الله تعالى علم آدم اللغة، لأنه الخلق الأول وليس له سابق يتلقى عنه، فعلمه الله تعالى أسماء كل شيء بوحى أو إلهام. فآدم كان يتلقى من ربه سبحانه وتعالى، أو أن الله تعالى وهبه القدس على الكلام فتكلم بمشيئته وخالف آدم وزوجه وأولاده بما تعلمه من ربه.

والاتجاه الذي لا يصح أن نزع من تلقينا اللغة من آباءنا توفيقاً أو وحياً، فإن ذرية آدم تعاقبت في نقل لغات الأولين وتوسعت فيها، وغيّرت وتأثرت لغاتها بعوامل خارجية واجتماعية، فاختلّف لسانهم الأول إلى لهجات ثم تطورت اللهجات إلى لغات مستقلة، فاللهجة تصبح لغة إذا تمكنت من الاستقلال عن قيد اللغة الأم. ولا يسمى اللغات التي يتكلمها الأمم المختلفة وحياً

والعقلية، فقال ابن جني "أقول إن لغة العرب توقيف" واستدل بقوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها" فكان ابن عباس يقول: "علمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وحبل وحماة وأشباه ذلك من الأمم وغيرها."¹³

ورأى بعض الأصوليين هذا الرأي، فذهب الأشعري وأهل الظاهر وجماعة من الفقهاء إلى أن الله تعالى هو الذي وضع اللغة وعلمها آدم بالإلهام أو الوحي. وقد اعتنق هذا الرأي بعض رجال من أهل الكتاب، وأشهرهم الأب الفرنسي لامي (ت 1771م) في العصور الوسطى، واستشهد على ذلك بما جاء في العهد القديم: "والله خلق من الطين جميع حيوانات العقول، وجميع بيور السماء، ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل فيها الإسم الذي يضعه له الإنسان، فوضع آدم

¹⁴ نشأة اللغة عند الطفل: الدكتور عبد الرحمن وافي، م، دار تحفة

مصر، ص: 31، 30.

¹³ الصحابي لابن فارس، ج 1 / ص: 15.

أو توفيقاً، لأنها لو كانت هي اللغة نفسها ما اختلفت وظلت لغة واحدة من لدن آدم حتى الآن.

ثانياً:

يرى أصحاب هذا الرأي أن الإنسان هو الذي وضع اللغة، وأنه تكلم فجأة مستمداً من المناظر الطبيعية، واصطلح عليها بالتواضع والاتفاق في التواصل اليومي، وهذا مذهب المتكلمين والمعتزلة، وفسر ابن جني ذلك على النحو التالي: "وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد منه هي المواضعة، قالوا ذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجون إلى الإبانة من الأشياء والمعلومات، فيضعون لكل واحد منها سمة ولفظاً، إذا ذكر عرف به ما يسماه، ليمتاز عن غيره، وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله. بل يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن إحضاره ولا إدناؤه، كالفاني، وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد

كيف يكون ذلك لوجاز، وغير هذا مما هو جاز في الاستحالة والبعد مجراه، فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم، فأومأوا إليه، وقالوا إنسان إنسان إنسان، فأى وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق، وإن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك، فقالوا يد، عين، رأس، قدم و نحو ذلك، فمتى سمعت اللفظ من هذا عرفت معنيها، وهلم جرا فيما سوى هذا من الأسماء والأفعال والحروف.¹⁵

ثالثاً:

اللغة ليست إلا محاكاة الأصوات ويعتقد أصحاب الرأي عن نشأة اللغة أنها حدثت من محاكاة الأصوات التي تصوغها الأذن، فالمتحدث يحاول محاكاة الصوت حسب استطاعته ويعبر عن هذا الصوت في تواصله مع عامة الناس بطريق يعلم منها السامع ما يريد المتحدث.

¹⁵ الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، ص: 53، 54، ط. 3، 1418هـ. الهيئة العامة المصرية للكتاب، الطبعة الجديدة، 2006هـ، من عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع. فقه اللغة: د. محمد خضر، ط: 1401هـ/1981م، ص: 93.

عليها القرون ودارها الدور فتطورت
وارتقت في ظل المجتمع البشري حتى
أصبحت لغة مستقلة وسيلة المواصلة
والإبلاغ.

وربما تحاكي الألفاظ بنفسها
معانيها أو ما تدل عليها، ولكنها
لا تشكل معظم اللغة، لأنها تكون في
مجال محاكاة الأصوات فقط، ولا توافق
في كل المسميات. مثل: القطعية: هي
تتابع الأصوات في الحرب وغيرها،
والغطغطة: صوت غليان القدر وما
أشبهه، والمعجمة: صوت ترديد الفرس
بدون الصهل، والحفحفة: حفيف
جناحي الطير، والجرجرة: صوت جرع
الماء في جوف الشارب، والخرخرة:
صوت ترديد النفس، وصوت جري الماء
في المضيق. وهكذا الدردرة (حكاية
صوت الماء في بطون الأودية وغيرها إذا
تدافع سمعت له صوتا. وكذلك صوت
الحب عند اصطدامه بجسم، والغرغرة:
صوت ترديد الماء في الحلق من غير مج
ولإساعة. والقرقرة: صوت الشراب في
الحلق. والقهقهة: صوت استغراب

فالصوت علامة دالة على شيء
مخصوص يعلمه السامع إذا يتردد
الصوت لديه كما يعلم المدلول الآخر
من الدال والعلامة مثلاً علامة + على
الدكتوراة.

فالأصوات التي يخرجها أو
يتابعها الإنسان ويردها هي الأصوات
التي يسمعها الإنسان في محيطه
الاجتماعي والبيئي مثلاً:

الأصوات الذي يخرجها الإنسان
معربا عن أحاسيسه كالبكاء والضحك
والألم والفرح والصراخ هي في الحق
أصوات مظاهر الطبيعة مثلاً: خري
المياه، والبرق، والاصطدام وكسر الزجاج
والرياح والرعد وصوت الضرب والقطع
كما هي مستمدة من أصوات الحيوانات
كلقطط والكلاب والأسد والفيل
والحمار والفرس والغنم والبقرة وما إلى
ذلك.

ولا ريب أن هذه الأصوات
بمثابة المصادر الأساسية التي يتكلمها
الإنسان قد مرّت عليها الدهور ومضت

مكتملة، واحتضنت في آياتها كل ما أعربت عنه حقا من أصوات مسموعات نقلتها وما أظهرت عنه من خيالات وأحاسيس تداعت إلى ذهن الإنسان، فاللغة ظاهرة إنسانية تأثرت بالإنسان وحياته وعاداته وقيمه وطقس عيشه، وأصبحت وسيلة التعبير عن كل ما يتعلق به، ووسيلة التصوير للحياة الإنسانية وقصة حضارتها.

ولا ريب أن اللغة في بعض نواحيها تظهر محاكات المسموعات المعلومة في الطبيعة، وهذا في بداية الأمر، والأمم البدائية مهما كانت تميل إلى تمثيل الأصوات التي سمعتها في الفضاء، فحاولت أن تنقل وتعرف بها المدلولات، والأشياء التي لا تصدر صوتا تعبر عنها بالإشارة أو الحركة أو تمثيل هيئتها. وهذه المحاكات ربما تختلف من مكان إلى مكان، وهذا يعتمد على المشاهدة والسمع.

رابعًا:

الضحك. والوعوعة: صوت نباح الكلب إذا رده. والوقوفة: اختلاط أصوات الطير. والكركرة: الضحك. والقرقرة: حكاية الضحك. والوشوشة: حركة القوم.¹⁶ ومن العجب أن الطفل إذا يكون في مهد الأم، يعرف الأشياء من خلال أصواتها ويسمها بأصواتها.

أما هذه النظرية (نظرية محاكاة الأصوات) فلها جذور قديمة وهي ليست بحوث حديثة. ورجح ابن جني هذه النظرية فهو يقول: وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الرياح وخرير المياه وبريق الرعد ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل. وهذا الرأي يؤكد أن اللغة نشأت في فترة مبكرة معاصرة لبدء الإنسان في الأرض، ومرت بمراحل تطور عديد ووصلت إلينا

¹⁶ المزهر: لجلال الدين السيوطي، ص: 52، 53، تحقيق محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي التجاري منشورات المكتبة المصرية، بيروت، ط: 1408هـ/1987م. وارجع لمعانيها إلى الجمهرة لابن دريد والقاموس المحيط للفيروز آبادي، الخصائص، طبعة المكتبة التوفيقية، ج 1، ص:....

اللغة بتطور المجتمع. فبدأت اللغة سفرها من أرض سهل إلى أرض التعقيد/الجبال. وأرى أن هذه النظرية توافق نظرية "محاكاة الأصوات للمسموعات" من حيث أن اللغة في بدايتها كانت بسيطة وسهلة لكثرة اعتماد هذه الأمم في ذلك الوقت على الحركات والإشارات والأصوات التي أغنتهم عن كم كبير من المفردات. فنجد في هذه اللغات البدائية عددا كبيرا من الكلمات التي تتحاكى الأصوات. ونجد هداية من أصوات الطفل في تأييد هذا الرأي من حيث أن الطفل في أول عمره يلفظ أصواتا ساذجة ثم يبدأ الحديث في أصوات متقطعة فينطق ما، با، ماما، بابا، فهو يخير أخف الألفاظ، حتى تقوي عضلات اللسان لديه فيحاول تركيب الألفاظ المتقطعة ثم يلفظ الكلمات والجمل.

خامسا:

نظرية انبعاث اللغة عن رغبة الإنسان في التعبير: هذه النظرية تؤكد على أن النوع الإنساني بطبيعته يستطيع

نظرية التطور: هذه النظرية تقول بأن الإنسان يعبر عن نفسه أولا بالحركة والإشارة حتى تكاثرت الأشياء التي يريد التعبير عنها، فجسد الإنسان هذه الأشياء فيشير إلى الغراب فيقول: غاق أو إلى الحصان فيقول: حم حم، ويعبر عن القطع والقص وسقوط الحجر بـ "ق" ولذا نرى أن الإشارات والحركات تشابه كثيرا فيما بينها. فالإشارة الرائجة في الهند كالإشارة في بلاد أمريكا. ولكن حينما حاول الإنسان أن يجسد هذه الإشارات فجسد حسب ما زعم معناها، فشرح حسب فكرته، فاختلقت اللغات وتوافق الإشارات في أداء المعاني، وهناك رأي أن الكلمة وضعت في أول أمرها على هجاء واحد في بدء الوضع حكاية أصوات، ثم وضعت الحروف في فترة لاحقة، فقد كان التفاهم في الطور الأول بأصوات متقطعة لا بجمل ثم تطورت الأصوات إلى كلمات ذات مقالع متصلة فصارت تركيبا لفظيا، ثم حدث تطور آخر ربما بزيادة أو نقص و[ورا بالتصريف والنحت. ثم تطورت

ومنها: أن اللغة منبعثة عن جوانب انفعالية مثلا: الرغبة في بيان مظاهر الفرح والحزن بالألفاظ دون الحركات والإشارات أو بيان العواطف الداخلية.

ومنها: أن اللغة نتيجة فجائية لدوافع اجتماعية وهي الرغبة في التواصل، وتحقيق المقاصد، فحدثت اللغة للمجتمع ليتواصل بها ويتميز بها عن غيره من المخلوقات.

وما أظن بعد التفكير في هذه الآراء أن الإنسان يمتاز بملكة التكلم كما يمتاز بملكة الفكرة والعقل، فإن الإنسان وهب له القدرة على التعلم والفكرة وهب له أيضا صفة الصوت. والإنسان هو الواحد بين جميع المخلوقات الذي أعد له العقل وقدرة الكلام الذي يتميز به من سائر الحيوانات التي تخرج صوتا واحدا لا يتنوع ولا يتغير ولا يتطور ولا يزيد فيه شيئا. أما الإنسان فملكته الكلامية وقدرة التعبير تمكنه من تعبير ما يرى ومحاكاة ما يسمع، كما تمكنه القدرة الفكرية من اختراع أصوات جديدة ورموز متنوعة.

أن يعرب عن كل معنى حسي أو معنوي بكلمة خاصة. وتبنى هذه النظرية ماكس مولر (Max Muller) الألماني (ت 1900م) والعالم الفرنسي رينان (Renan) (ت 1890م). وبعض العلماء يعتقدون أن هذه النظرية جديدة بين النظريات الأخرى، بينما وجدت هذه النظرية عند الفيلسوف الكبير ابن سينا أن اللغة متفجرة من معين الطبع الذي يتفجر في تخصيص معنى بصوت يعبر عنه. وفي ألفاظ ابن سينا:

"فالإنسان لديه قوة حسية ترسم فيها الأمور الخارجية، وتتأدى عنها إلى النفس، فترسم فيها ارتساما ثابتا، وهذه الأشياء الحسية التي ارتسمت، قد تنقلب عن هيئتها الحسية أو المحسوسة إلى التجريد المعنوي".¹⁷

وهناك آراء أخرى، منها: أن اللغة هي نتيجة الرغبة الإنسانية في الرمز إلى الأشياء برموز معروفة أو برموز تدل عليها.

¹⁷ العبارة لابن سينا، تحقيق محمد الحضرمي، الهيئة العامة للكتاب، ص:

المزهر: لجلال الدين السيوطي
تحقيق محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل
إبراهيم، وعلي التجاري منشورات
المكتبة المصرية، بيروت
أسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمة أحمد
مختار عمر، عالم الكتب
مدخل إلى علم اللغة: الدكتور حجازي
أساس البلاغة: محمود بن عمر
الزمخشري، دار صادر

مهما كانت النظريات والأراء وهي لا
تعمني، ما يهمني هي الوسائل والطرق
لاحتفاظ اللغة. دع ما حدث في الماضي
ودع البحث عن كيفية نشأة اللغة، وركز
على الطرق والسبل التي تساعدنا على
إحياء اللغة، فإن كل لغة مرت عليها
العصور ودار عليها الدهر وهي تحتضن
في أحضانها كنوز المعرفة والتجربة. فمعنى
لغة موت، موت العلم والمعرفة. هذا من
أهم ضروريات العصر ونداء الوقت، ولو
كنا لا تلبى هذا الطلب فتضيع الخزائن
والكنوز وتغلب عليك بعض الأفكار
والرؤى التي تختلف أو ربما تضرك من
حيث أنك لا تعتاد هذه التجربة. فلا
بد أن يبقى العالم مع عدة اللغات
ليحظى كل قوم بمناهل عرفانه.

المراجع

العبارة لابن سينا، تحقيق محمد الحضرمي،
الهيئة العامة للكتاب

الجمهرة لابن دريد والقاموس المحيط
للفيروز آبادي. الخصائص، [بعة

المكتبة التوفيقية، ج 1

